

عندما تتجاهل سوريا حقائق التاريخ؟!

10-3-2005

وقد جاء تبني ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وجورج بوش لخطة إستراتيجية بعنوان "الشرق الأوسط الكبير"، وهي في الأساس إسرائيلية التوجه والأصل، لينسف الأساس الذي قام عليه التوازن الإقليمي القائم في المنطقة. وفي الواقع يمثل القضاء على هذا التوازن الهدف الذي أرادته تلك الخطة بالتحديد، فتوازن الطائف ألزم إسرائيل بالتوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين. بقلم المحرر

مواد ذات علاقة

[ولكنّ السوريين لا يواكب لهم...](#)

يمكن القول إن التغييرات الحادثة اليوم في لبنان سريعة جدا وغير متوقعة، ويبدو أن الأمريكيين أنفسهم قد فوجئوا بما تحقق إلى الآن. بينما يجد السوريون صعوبة في ملاءمة أنفسهم مع وتيرة الأحداث، ويحاولون كسب الوقت، وبرون في الخروج من لبنان موقف ضعيف. الأمر الذي يدفعهم للمراهنة أكثر على ورقة حزب الله، حيث يرى السوريون في الحزب جزءا من منظومة الدفاع السورية على الحدود الشرقية. وفي نظر السوريين، فالحزب شروعة إستراتيجية لسورية.

والتكتيك السوري حتى الآن كان ناجعا..خطوات تجميلية لتهذبة الأجواء،مفاوضات حول اتفاق مع الاتحاد الأوروبي وتعاون مع الولايات المتحدة في كل ما يتعلق بإغلاق الحدود السورية العراقية. وقبل ذلك، انحنت سوريا -خلال الفترة الأخيرة- في أكثر من جبهة: تصالحت مع الأتراك متنازلة بصورة تامة عن الاسكندرونة، وحسمت أمرها مع الأردنيين بشأن الخلاف الحدودي، وحسنتالعلاقات مع الروس (صفقة السلاح)، وزادت التنسيق مع الإيرانيين، وبدت هذه التحركات ناجحة في بعض الأحيان.

وعندما يتحدث السوريون اليوم عن سحب جيشهم من لبنان، هم لا يتحدثون عن الانسحاب التام بل عن تطبيق اتفاق الطائف، الذي يتيح لهم إبقاء فرقة سورية في البقاع اللبناني وإبقاء قوات كوماندوز سورية في المواقع الاستراتيجية اللبنانية ووضع محطات إنذار مبكر أيضا.كما لا يتحدث راتفاق الطائف عن إخراج أجهزة الاستخبارات السورية ولا عن سحب المفوض الأعلى السوري، الذي حل محل غازي كنعان والذي يدير الشؤون السورية في لبنان. وعندما يتحدث الأمريكيون والفرنسيون والأوروبيون والعالم العربي عن انسحاب سورية من لبنان هم يقصدون تطبيق قرار مجلس الأمن 1559، الذي يتحدث عن الانسحاب التام وعن نزع سلاح حزب الله، إلا أن السوريين لا يريدون أن يفهموا ذلك حاليا، وهذا يعني مواصلة الضغوط العالمية عليهم. هذا الضغط المكثف هو الرياح الدافعة لأشركة المعارضة في لبنان، وهو الذي أتاح الفرصة السانحة لانقلاب الوضع في لبنان. الأسد تحدث في صحيفة التايم عن إخراج قواته خلال عدة أشهر حتى نصف سنة، إلا أن العالم، بما فيه العرب، لا يريدون إعطاءه هذه المهلة.

وقد جاء تبني ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وجورج بوش لخطة إستراتيجية بعنوان "الشرق الأوسط الكبير"، وهي في الأساس إسرائيلية التوجه والأصل، لينسف الأساس الذي قام عليه التوازن الإقليمي القائم في المنطقة.وفي الواقع يمثل القضاء على هذا التوازن الهدف الذي أرادته تلك الخطة بالتحديد، فتوازن الطائف ألزم إسرائيل بالتوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين. كما أن إسرائيل تتحدث لغة السلام والديمقراطية، ولكنها لا تستطيع أن تتحمل أيا منهما، بسبب قضية الهوية البالغة الأهمية.

لكن ومع هذا، ما عاد لدى الولايات المتحدة أو إسرائيل ميزة المفاجأة الإستراتيجية، والوقت يمر وبحسب بالدولارات التي تقتطعها الحرب على "الإرهاب" من الخزنة الأمريكية، فقد تعدت تكلفة احتلال العراق وأفغانستان خلال عامين بالفعل 3 مليار دولار، وهو ما يجعل هذين العامين الأكثر تكلفة بين سنوات الحرب في التاريخ الأمريكي.

وفي هذه الأثناء يوجد في الجيش الإسرائيلي من يعتقد أن خروج سورية من لبنان سيزعزع الاستقرار، حيث يرى أن من الأفضل أن تكون هناك قوة راعية ورافعة للضغوط وهراوة متوفرة في كل وقت لكبح جماح الأطراف الحماسية، ويتزعم هذا الرأي، رئيس مجلس الأمن القومي، غيورأ آيلاند. لكن أطرافا أخرى في جهاز الدفاع ومن بينها رئيس هيئة الأركان وفي وزارة الخارجية أيضا غمرهم التفاؤل. وأكثرهم من ذلك، بدأوا في شن حملة سياسية،أعلنت عنها وزارة الخارجية، ضد حزب الله في أرجاء أوروبا.

وبشرف على هذه الحملة مدير عام وزارة الخارجية، والتي يقف على رأسها رئيس قسم الاستراتيجية، جيرمي يششكروف. كل سفراء إسرائيل في أوروبا يدفعون باتجاه إدراج حزب الله في قائمة الإرهاب. وقد قامت هولندا بسن قانون داخلي يعتبر حزب الله تنظيمًا إرهابيًا، وسيقوم الهولنديون بحمل هذه المبادرة إلى الاتحاد الأوروبي كله، وفرنسا اليوم هي القوة الأساسية التي تحول دون إدخال حزب الله في القائمة السوداء.

ولعل أبرز ما يهدف إليه الضغط الأوروبي والأمريكي هو انهيار النظام السوري من الداخل، حيث إن "فيروس الديمقراطية" الذي يعمل بوش على حشره في المنطقة يهدد بالتحول إللوبياء إقليمي.. بينما تعلم سوريا أنه سيتعين عليها عاجلاً أم آجلاً أن تستجيب للضغوط لحملها على الانسحاب من لبنان، وكانت غير مستعدة لأن تغادر وتترك وراءها مثل هذا السياسي القوي الثري كي يملأ الفراغ الذي سيتركه الانسحاب السوري، وهذا أمر مفهوم. فالهدف هو أن تترك وراءها فوضى عارمة تكون وسيلة أفضل لإرباك المعارضة واحتوائها. من دون الحريري وأمواله يبدو أنه من المستبعد أن تتمكن الجماعات المتشعبة التي تتكون منها المعارضة اللبنانية من البقاء بدا واحدة. أما موقع إيران من خريطة هذه التحولات، فإن الإيرانيين، ورغم ما يرونه من خطر على استثماراتهم في بيروت، إلا أن أياديهم مكبلية، فلبنان يحتل المرتبة الثالثة في سلم الأولويات الإيراني وقبلة العراق وفي المرتبة الأولى برنامج السلاح النووي. وفي الأخير.. ينبغي التأكيد دائماً، أنه في ظل الفشل في معركة الإصلاحات الأساسية الفعلية والحريات الأساسية، فإن البيت الداخلي معرض للتداعي ويغري بالتدخل، ومن المؤسف أن النظام السوري تجاهل حقائق التاريخ والواقع، رغم أنه يدرك أن الطريق إلى بغداد كان مهياً من الداخل قبل أن يجهز الخارج؟